الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN

كلية الآداب و الفنون
قسم اللغة والأدب العربي

مقياس : المناهج النقدية النسقية
ليسانس ماستر 1
تخصص: نقد حديث ومعاصر
إعداد : أ.د محمد مليياني
العام الجامعي 2026/2025

من الكلام إلى اللغة

يُعدّ التمييز بين اللغة والكلام من أهم المرتكزات التي قامت عليها اللسانيات الحديثة، خاصة مع التصور البنيوي الذي أسسه فرديناند دي سوسير في محاضراته الشهيرة. فقد أحدث هذا التصور تحولاً جذرياً في دراسة الظاهرة اللغوية، حين انتقل البحث من الاهتمام بتاريخ الكلمات وأصولها إلى دراسة اللغة باعتبارها نسقاً قائماً بذاته، تحكمه علاقات داخلية دقيقة. ومن هنا ظهرت الثنائية الشهيرة: اللغة (Langue) والكلام(Parole) ، التي أصبحت حجر الأساس في الفكر اللساني المعاصر، قبل أن تتوسع لاحقاً بمفاهيم أخرى مثل التزامن والتعاقب والسياق.

فاللغة عند سوسير ليست مجرد ألفاظ متفرقة، بل هي نظام اجتماعي من العلامات اللغوية، تتقاسمه الجماعة اللغوية وتخضع له في عملية التواصل. إنها الجانب الجماعي والثابت نسبياً من النشاط اللغوي، حيث تتشكل من القواعد النحوية والصرفية والدلالية المخزنة في الذهن الجمعي. ولهذا تتميز اللغة بطابعها القهري والاجتماعي، لأن الفرد لا يستطيع تغييرها بإرادته الخاصة، بل يجد نفسه ملزماً باستعمالها وفق ما استقر عليه المجتمع. كما أن وجودها ذهني ومجرد، فهي تمثل الإمكانية الكامنة التي تسمح بإنجاز عملية التواصل.

في مقابل ذلك، يمثل الكلام الجانب الفردي والحركي من اللغة، أي الاستعمال الفعلي الذي يقوم به المتكلم في موقف معين. فالكلام هو الإنجاز الواقعي للغة في صورة ملفوظات

منطوقة أو مكتوبة، وهو لذلك متغير ومتجدد، يتأثر بالحالة النفسية للمتكلم، وبالسياق الاجتماعي والثقافي الذي يتم فيه التواصل. وإذا كانت اللغة نسقاً ثابتاً نسبياً، فإن الكلام مجال الحرية والإبداع والانزياح، لأنه يسمح للفرد بأن ينتقي من إمكانات اللغة ما يناسب مقصده التعبيري والتواصلي.

غير أن العلاقة بين اللغة والكلام ليست علاقة انفصال، بل علاقة تكامل وجدلية مستمرة. فاللغة لا يمكن أن توجد إلا من خلال الكلام، لأن الباحث اللساني لا يصل إلى القواعد المجردة إلا عبر تحليل عينات من الاستعمال الفعلي. ومن جهة أخرى، فإن الكلام نفسه لا يتحقق إلا بفضل وجود اللغة بوصفها نظاماً سابقاً يتيح للمتكلم إمكان التعبير. وهكذا تصبح اللغة أداة للكلام، بينما يتحول الكلام إلى مصدر لتطور اللغة وتجددها.

ومن هذا المنطلق طرح سوسير التمييز بين الدراسة التزامنية والدراسة التعاقبية. فاللسانيات التزامنية تهتم بدراسة اللغة في لحظة زمنية محددة، أي بوصف النسق كما هو قائم في الحاضر، دون الالتفات إلى تاريخه. وقد شبّه سوسير ذلك برقعة الشطرنج، حيث لا يهم أصل القطع أو تاريخ صنعها، بل تهم مواقعها الحالية والعلاقات التي تربط بينها. أما اللسانيات التعاقبية فتهتم بدراسة تطور اللغة عبر الزمن، وتتبع التحولات الصوتية والدلالية والتركيبية التي تطرأ عليها عبر العصور.

وتتضح أهمية هذا التمييز في فهم كيفية حدوث التغير اللغوي؛ إذ إن التحول يبدأ غالباً من الكلام، أي من الاستعمال الفردي أو الجماعي الجديد، ثم يتكرر مع الزمن حتى يستقر داخل النسق اللغوي ويصبح جزءاً من اللغة ذاتها. وبذلك يصبح الكلام قوة دينامية منتجة للتغير، بينما تمثل اللغة الإطار الذي يحتوي هذا التغير وينظمه.

ومع تطور الدراسات اللسانية الحديثة، لم يعد التركيز مقتصراً على اللغة بوصفها نسقاً مغلقاً، بل ظهر الاهتمام بالسياق باعتباره عنصراً أساسياً في إنتاج المعنى. فالكلمة لا تكتسب دلالتها الدقيقة إلا داخل سياق لغوي واجتماعي معين. وقد ميز الباحثون بين السياق اللغوي، أي ما يحيط بالكلمة من ألفاظ داخل الخطاب، والسياق غير اللغوي الذي يشمل الظروف الاجتماعية والثقافية والنفسية والتاريخية المصاحبة لعملية التواصل. وبهذا المعنى، فإن السياق يمثل الجسر الذي ينقل اللغة من مستوى الإمكان النظري إلى مستوى الإنجاز الفعلي في الكلام.

وقد أدى هذا التطور إلى تجاوز الفصل الصارم بين اللغة والكلام في الدراسات الحديثة، خاصة في التداولية وتحليل الخطاب والسوسيولوجيا اللغوية. فلم يعد الكلام مجرد تطبيق فردي لقواعد اللغة، بل أصبح ممارسة اجتماعية وثقافية تحمل في داخلها أبعاداً إيديولوجية ورؤى فكرية تعكس هوية المتكلم وموقعه داخل المجتمع. كما لم تعد اللغة مجرد نظام محايد من العلامات، بل غدت فضاءً تنتظم داخله علاقات السلطة والثقافة والتمثلات الاجتماعية.

إن الثنائية السوسيرية بين اللغة والكلام شكلت منعطفاً حاسماً في تاريخ اللسانيات، لأنها نقلت دراسة اللغة من البحث التاريخي التقليدي إلى التحليل البنيوي العلمي. كما أن مفاهيم التزامن والتعاقب والسياق عمّقت فهمنا للظاهرة اللغوية، وأبرزت أن اللغة ليست كياناً جامداً، بل بنية حية تتفاعل باستمرار مع الاستعمال الاجتماعي والتاريخي. فاللغة تنتج الكلام، والكلام يعيد تشكيل اللغة، والسياق يمنح المعنى، بينما يكشف التعاقب عن تطور النسق عبر الزمن، في شبكة مترابطة تجعل من اللغة ظاهرة إنسانية واجتماعية متجددة باستمرار.

المفهوم	طبيعته	مجاله	وظيفته
اللغة(Langue)	اجتماعية، ثابتة نسبيًا	النسق الذهني	توفير القواعد والعلامات
الكلام(Parole)	فردية، متغيرة	الإنجاز الفعلي	استعمال اللغة في الواقع
التزامن (Synchrony)	دراسة سكونية	الحاضر	تحليل النسق كما هو قائم
التعاقب (Diachrony)	دراسة تاريخية	الزمن	تتبع تطور النسق
السياق(Context)	تداولي/اجتماعي	المقام والاستعمال	تحديد المعنى وتوجيه الكلام